

صُحْبَةُ الرَّسُولِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

إعداد

نوفيق محمد نصيري

عضو الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، بعث رسوله بالحق المبين، رحمة للعالمين، وحجة للعاملين، وهداية للناس أجمعين، فأدى الرسالة على أكمل وجه، وبلغ الدين على أحسن صورة، فعليه صلاة الله وسلامه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار؛ الذين ما تركوا سنة إلا وفعلوها، ولا منكراً إلا بينوه، ولا أمانة إلا أدوها، ولا بدعة إلا نهوا عنها، مشوا على خطى حبيبيهم، وساروا على نهج نبيهم.. اللهم صلِّ وسلم على محمد وآله وأصحابه، ما ذكرك الذاكرون الأبرار، وما تعاقب الليل والنهار، من يومنا هذا إلى يوم الريح والخسار..

ثم أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى أرسل رسوله عليه الصلاة والسلام والناس في جهالة جهلاء، وضلالة عمياء، يتخبطون في متاهات

الضلال، ودياجير الظلام، فهدى به من الضلالة، واستنقذ به من الجهالة، وبصر به من العمى، وأكمل به الدين، وأتمّ النعمة، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً.

ولم يترك رسولنا الكريم ﷺ خيراً إلا دل الناس عليه، ولا شراً إلا حذرهم منه، ومضى إلى جوار ربه بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة.

ولم يمت ﷺ حتى ترك أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها؛ يؤمنون بالإسلام عن بينة، ويرفضون الجاهلية عن دراية، ويدعون إلى الله على بصيرة، ويكفرون بالطاغوت على علم، ولا يبتغون غير الإسلام ديناً.

عز عليهم دينهم فهانت في سبيله دنياهم، وغلت عندهم عقيدتهم فرخصت من أجلها أنفسهم، فرضوان الله تعالى عنهم. فقد جاهدوا جهاداً عظيماً، وناضلوا نضالاً بطولياً، وناقحوا نقاحاً كبيراً، وضحوا تضحية لم يشهد التاريخ لها مثيلاً على مر

السنين والأعوام وتعاقب الدهور والأزمان.. كل ذلك في سبيل إعلاء راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، ونشر الدين الحق، وتبيان المنهج الصواب، ورسم الطريق الصحيح..

عاش الواحد منهم فقيراً معدماً لا يكاد يجد قوت يومه ولا ما يسد به رمقه، لكن في قلوبهم نور الإسلام، وأشعة الهداية الربانية، وكنوز من الوحي القرآني والهدي النبوي فعليهم رضوان الله.

تعال أخي القارئ لتأمل ما كان عليه ذلك الجيل العظيم، ولتتفكر في مدى قربهم ومودتهم لنبئهم الكريم ﷺ..
هلم بنا نقرأ هذه الوريقات لعلنا نعطي لأهل الحق حقهم، وننسب لذوي الفضل فضلهم، ولا ننقص أحداً شأنه..

فضل الصحابة

إن فضل الصحابة لا ينكره إنسان، ولا يغفله ذو عقل
 وجنان، ولا يجحده منصف ذو عرفان.. فضل أولئك الأبطال،
 رجالاً ونساءً والفتيان؛ من صحابة النبي العدنان ﷺ. فقد
 جاءت الآيات الكرييات، وتواردت الأحاديث الصحيحة،
 وتواترت الآثار الفصيحات تنص على ذلك، بما لا يدع مجالاً
 للشك في فضلهم، ولا مكاناً للريبة في علو مكائهم، فهم
 النجوم التي تزين السماء، والمصابيح التي تبدد الظلمة.

الصحابة أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً،
 وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله
 عليه وآله وسلم وإقامة دينه. كما قاله ابن مسعود رضي الله عنه^(١). فحبهم

(١) تفسير القرطبي (١/٦٠) وروى نحوه أبو نعيم في الحلية (١/٣٠٥)
 من قول ابن عمر ب.

سنة والدعاء لهم قرابة والإقتداء بهم وسيلة والأخذ بأثارهم
فضيلة^(١).



(١) العقيدة (١ / ٨١).

فضل الصحابة في كتاب الله

اسمع - يا رعاك الله - إلى ربك العلي في علاه، حين يصف أصحابه بأوصاف غاية في البهاء والجمال والروعة، وهي والله أعظم أوسمة حصلوا عليها..

فهذا هو الإله العظيم يثني على أصحاب الرسول الكريم ﷺ؛ لعلمه أنهم للثناء أهل، ولشرف الصحبة مستقر ومحل. وكلام الله وعلمه لا يمكن أن يكون محصوراً بزمن معين أو بوقت محدد أو بعصر دون بقية العصور، فكلامه -جل في علاه- صالح لكل زمان ومكان ولكل عصر وأوان، وهذه قبسات من كلام الله ﷻ يذكر فيها أصحاب نبيه بالذكر الحسن..

قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقوله ﷺ: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأكثر العلماء على أن المراد بهذه الآية هم المخاطبون عند نزول الوحي وهم صحابة رسول الله كما نص على ذلك الخطيب وابن حجر^(١).

الصحابة هم صفوة خلق الله تعالى بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله ﷻ ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ [النمل: ٥٩] قال: أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه^(٢).

(١) الإصابة: (٩/١).

(٢) رواه الطبري (٢/٢٠) والبيزار وانظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٧٠) الاستيعاب ١٣/١ تفسير القرطبي ٢٢٠/١٣ وبذلك فسرها سفيان الثوري. كما رواه عنه أبو نعيم في الحلية ٧٧/٧ وابن عساكر ٤٦٣/٢٣.

قال تعالى وهو يثني عليهم: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

بل ويطرئ عنهم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

ونعتهم الله جل في علاه بنعت هو من أعظم النعوت على
الإطلاق فقال: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي
التَّوْرَةِ ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطَطُهُ
فَأَنْزَرَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ

الْكَفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] هل فكرت معي أيها المطالع
الكريم عن سر هذه الصفة العزيزة؟ إنك ستجد -ولا شك-
أسباباً كثيرة للحديث عنها، ولكني أذكر لك هاهنا عدة أسباب
بُغية الاختصار لهذه الرسالة.

أما السبب الأول: فهو لذات الصفة وما فيها من معانٍ، وما
ورد فيها من آيات وأحاديث وآثار عن سيد الأبرار صلوات الله
عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار، فربنا ﷺ هو الرحمن
الرحيم.

وقد قال سبحانه في وصف الحبيب ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة].

وقال رسول الله ﷺ: (من لا يرحم لا يُرحم) متفق عليه.
والحديث عن ذات الصفة يطول، والنصوص الواردة فيها
كثيرة لا تحفى عليك.

السبب الثاني: أن الله ﷻ اختار هذه الصفة في الثناء على
أصحاب رسوله ﷺ، وفي اختيار هذه الصفة دون غيرها حكماً
وفوائد بالغة الأهمية، ومن الإعجاز العلمي وصفهم بتلك
الصفة.

ومن تأمل فيها ظهر الإعجاز، وذلك أن النص جاء في
تخصيص ذكر صفة الرحمة الموجودة فيما بينهم.

لماذا ذكر الله تلك الصفة دون غيرها؟؟

لأن فيها الرد على الطعون التي لم تكن قد ظهرت وسُطرت
في الكتب، وأصبحت فيما بعد أحاديث القصاصين ومن جاء
بعدهم. والله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

السبب الثالث: أن تقرير هذه الحقيقة - أعني أن أصحابه رحماء بينهم، وأن صفة الرحمة متأصلة في قلوبهم - يرد الروايات والأوهام والأساطير التي صوّرت أصحاب رسول الله ﷺ على أنهم وحوش فيما بينهم، وأن العداوة بينهم هي السائدة!! نعم. إذا تأصل لديك أن الصحابة رحماء بينهم، واستقر ذلك في سويداء قلبك اطمأن القلب، وخرج ما فيه من غلٍّ للذين أمر الله تعالى بالدعاء لهم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحشر].

وقال ﷺ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطَهَّرُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ٢٨]

قال سفيان: هم أصحاب محمد ﷺ^(١).

﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ أَوْلِيَّتِكَ
أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ
الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحديد].

فالجميع لهم فضلهم ومنزلتهم، وعلينا إدراك عظم الصحبة،
وأنها منزلة قائمة بذاتها، ومنازلهم بحسب أعمالهم، فهم طبقات:
فالسابقون الأولون لهم أعلى المنازل، ومن جمع الله له بين
الصحبة والقربى - وهم آلہ الأَطهار - فسلام عليهم وﷺ
فلهم منزلة الصحبة وحق القربى، ومنازلهم بحسب أعمالهم.

(١) رواه سعيد بن منصور ٥ / ٤٣٥

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]
 هم أصحاب محمد ﷺ آمنوا بكتاب الله وعملوا بما فيه^(١).
 أيها القارئ الكريم: لا شك ولا ريب لديك بأن الرسول
 ﷺ قام خير قيام بما أمره الله ﷻ من إبلاغ الرسالة، وتزكية
 أصحابه وتعليمهم وغير ذلك، ومن ثمار هذه التزكية تلك
 الخصال الحميدة التي أصبحت سجية للصحابة رضي الله عنهم.
 ويكفي أنهم خير أمة أخرجت للناس، قال الله تعالى:
 ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].
 فتأمل قوله سبحانه: ﴿أُخْرِجَتْ﴾ من الذي أخرجهم وجعل
 لهم هذه المنزلة؟ وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ
 أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
 شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

(١) فتح الباري ١٣/٥٠٨.

والآيات التي أنزلها الله تعالى في وصفهم والثناء عليهم
وذكرهم كثيرة جداً.. فضلاً عن الآيات التي امتدح الله فيها
أشخاصاً بأعينهم، فكانت وسام شرف عالي القدر لهم، رضوان
الله عنهم.

الصحابة على لسان رسول الله ﷺ

أخي القارئ: لا تعجب أن يمتدح الرسول ﷺ أصحابه، ولا تستغرب أن يدافع عنهم، وينهى ويزجر عن سبابهم.. فهو ﷺ بالوفاء لأصحابه قد عُرف، وبجبه لهم متّصف، ولم يجد منهم إلا كل خير ووفاء، وبذل وعطاء فعليهم رضوان الله.

وأول هذه الأحاديث: عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)^(١) وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون؛ لأنهم آمنوا به حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه، ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام.^(٢)

(١) رواه البخاري (٢٥٠٩) ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) التمهيد ٢٠/٢٥١ فيض القدير ٣/٤٧٨.

ويصفهم نبيهم ﷺ بأنهم كالنجوم التي تزين السماء ويهتدي بها التائه، ويسترشد بها الضال، فعن أبي بردة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (النجوم أمانة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)^(١)، وفيه إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة من طمس السنن وظهور البدع وفشو الفجور في أقطار الأرض^(٢).

ويرسم رضي الله عنه صورة بهية لأصحابه الكرام فيروي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال

(١) رواه مسلم (٢٥٣١)

(٢) تحفة الأحوذني ١٥٦/١٠ فيض القدير ٢٩٦/٦.

لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون:
نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فثام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم
من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون:
نعم، فيفتح لهم»^(١).

قال النووي رحمته: (وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله
ﷺ، وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم)^(٢).

فيا الله ما أعظم هذا التكريم الذي حظي به أصحاب النبي
الكريم ﷺ الذي ما كان ولم يكن لأحد سواهم بعد الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام أن ينالوا هذا الفضل والثناء والمدح
والتزكية.

أليس الرسول هو أعلم بحالهم؟ أليس قد عايشهم في السراء
والضراء؟ وعلم من إخلاصهم لربهم ما يدفعه لقول مثل هذه

(١) رواه البخاري ح (٢٨٩٧)، ومسلم ح (٢٥٣٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/٨٣).

الأحاديث الصحيحة ذات الدلالات الصريحة، والمعاني
الفصيحة..

والحاصل أن الأحاديث الواردة في فضلهم كثيرة ومشتهرة
بل متواترة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذه الأحاديث
مستفيضة، بل متواترة في فضائل الصحابة والثناء عليهم
وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون والقدح فيهم قدح في
القرآن والسنة)^(١).

(١) مجموع الفتاوى شيخ الإسلام (٤/٤٣٠).

مواقف فدائية.. أعمال بطولية

أخي القارئ الكريم:

إنك حين تقلّب صفحات التاريخ لن تجد مثيلاً لتلك
المواقف الرائعة التي سطرها الصحابة الكرام فداءً لنبيهم عليه
الصلاة والسلام، وتضحية من أجل إعلاء كلمة الله عز وجل،
وسنكتفي بذكر أمثلة فقط.

بُضْرِبَ حَتَّى لَا يُعْرَفَ وَجْهَهُ مِنْ أَنْفِهِ..

وأول ما سنذكره ذلك الموقف الرائع لصاحب تلك
الشخصية الرائعة؛ الصديق أبي بكر رضي الله عنه، وذلك لما اجتمع
أصحاب رسول الله ﷺ، فكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألح أبو
بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: "يا أبا بكر، إنا
قليل" فلم يزل أبا بكر يلح على النبي ﷺ حتى ظهر رسول الله
ﷺ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته،

وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ خَطِيْبًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا، فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيْبٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﷻ وَإِلَى رَسُولِهِ، وَثَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبُوا فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَوُطِئَ أَبُو بَكْرٍ وَضُرِبَ ضَرْبًا شَدِيدًا، فَدَنَا مِنْهُ الْفَاسِقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ مَخْصُوفَيْنِ وَبِحَرْفَيْهِمَا لَوَجْهِهِ... عَلَى بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَا يُعْرَفُ وَجْهُهُ مِنْ أَنْفِهِ، وَجَاءَتْ بَنُو تَيْمٍ يَتَعَادُونَ، وَأَجَلَّتِ الْمُشْرِكِينَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَحَمَلَتْ بَنُو تَيْمٍ أَبَا بَكْرٍ فِي ثَوْبٍ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَنْزِلَهُ، وَلَا يَشْكُونَ فِي مَوْتِهِ، ثُمَّ رَجَعَتْ بَنُو تَيْمٍ، فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَكُنَّ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، فَرَجَعُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَجَعَلَ أَبُو فُحَافَةَ، وَبَنُو تَيْمٍ يُكَلِّمُونَ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَجَابَ، فَتَكَلَّمَ آخِرَ النَّهَارِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَسَّوْا مِنْهُ بِالْسِّنْتِهِمْ، وَعَدَّلُوهُ، ثُمَّ قَامُوا، وَقَالُوا لِأُمِّ الْخَيْرِ: انْظُرِي أَنْ تُطْعِمِيهِ شَيْئًا أَوْ تَسْقِيهِ إِيَّاهُ، فَلَمَّا خَلَّتْ بِهِ أَحَلَّتْ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ مَا فَعَلَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا لِي عِلْمٌ بِصَاحِبِكَ، فَقَالَ: أَذْهَبِي
إِلَى أُمِّ جَمِيلِ بِنْتِ الْخَطَّابِ، فَسَلِّيْهَا عَنْهُ، فَخَرَجْتُ، حَتَّى جَاءَتْ
أُمَّ جَمِيلِ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ،
فَقَالَتْ: مَا أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَإِنْ تُحِبِّينَ أَنْ
أَمُضِيَ مَعَكَ إِلَى ابْنِكَ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَمَضَتْ مَعَهَا، حَتَّى وَجَدَتْ
أَبَا بَكْرٍ صَرِيحًا دَنِيًّا، فَدَنَتْ أُمَّ جَمِيلِ، وَأَعْلَنْتَ بِالصِّيَاحِ، وَقَالَتْ:
وَاللَّهِ إِنْ قَوْمًا نَالُوا هَذَا لِأَهْلِ فِسْقٍ وَكُفْرٍ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَنْتَقِمَ
اللَّهُ لَكَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: هَذِهِ أُمُّكَ تَسْمَعُ،
قَالَ: فَلَا شَيْءَ عَلَيْكَ مِنْهَا، قَالَتْ: سَالِمٌ صَالِحٌ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟
قَالَتْ: فِي دَارِ ابْنِ الْأَرْقَمِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيٌّ أَنْ لَا أَدُوقَ طَعَامًا أَوْ
شَرَابًا، أَوْ آتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَهَلْنَا حَتَّى إِذَا هَدَتِ الرَّجُلُ،
وَسَكَنَ النَّاسُ خَرَجْنَا بِهِ يَتَكَيُّ عَلَيْهَا حَتَّى أَدْخَلْنَاهُ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَأَكْبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَبَّلَهُ، وَأَكْبَبَ عَلَيْهِ
الْمُسْلِمُونَ وَرَقَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِقَّةً شَدِيدَةً، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بِأَبِي

وَأُمِّي لَيْسَ مِنْ بَأْسٍ إِلَّا مَا نَالَ الْفَاسِقُ مِنْ وَجْهِهِ..^(١)

أيُّ محبة هذه التي تدفع الصديق إلى أن لا يذوق طعاماً ولا شرباً - وهو في أمس الحاجة إليهما - حتى يرى رسول الله ﷺ؟! إنه الإيثار الصادق، والمحبة الخالصة.

إظهار للحق بعد طول خفاء..

وها هو الفارق عمر رضي الله عنه يعلل سبب تسمية بهذا اللقب الرائع، روى مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عمر بن الخطاب: لأي شيء سميت الفاروق؟ قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام - ثم قص عليه قصة إسلامه. وقال في آخره: قلت - أي حين أسلمت: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: (بلى، والذي نفسي بيده، إنكم على الحق وإن متم وإن حييتم)، قال: قلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فأخرجناه في صفيين، حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر،

(١) رواه بن عساكر في تاريخ دمشق

له كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد، قال: فنظرت إلى قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصيبهم مثلها، فسأني رسول الله ﷺ (الفاروق) يومئذ.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر.

وعن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودعى إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقة، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به.

وعن عبد الله بن مسعود قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم..

وفي غزوة تبوك تتجلى لنا عدد من المواقف الرائعة في مجال البذل والسخاء من الصحابة الكرام عليهم رضوان الله، وكان من أبرز المنفقين عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث أعطى وأنفق في

تجهيز الجيش ما لم ينفقه أحد، فقد بذل عيراً كانت له من تجارة، وهي عبارة عن: مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها^(١)، ومائتا أوقية، فتصدق بها، ثم تصدق بمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم جاء بألف دينار فنثرها في حجره ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يقبلها ويقول: (ما صرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم)، ثم تصدق وتصدق حتى بلغ مقدار صدقته تسعمائة بعير ومائة فرس سوى النقود.

لا يبالي عثمان ﷺ بالمال ما دام أنه في سبيل الله سيُنْفَق، وفي حجر رسول الله ﷺ سيُنْثَر.

فما هو الدافع الذي جعل عثمان بن عفان ﷺ ينفق كل هذه الأموال؟ أليس الإيمان ظاهراً في هذا الموقف.

ينام على فراشه .. تضحيةً وفداءً

وفي ليلة الهجرة النبوية الشريفة عهد الرسول ﷺ إلى ابن عمه، البطل الهمام، والأسد الضرغام؛ علي بن أبي طالب أن ينام على

(١) أي: وبها تحمله على ظهورها.

فراشه، فوافق علي رضي الله عنه على الفور، على الرغم من علمه أن كفار قريش يطلبون النبي ﷺ بل إنهم ينتظرونه عند عتبة الباب، وقد يدخلون عليه وهو على فراش حبيبته رضي الله عنها فيقتلونه ظناً منهم أنه هو.. ولكن علياً رضي الله عنه لم يجعل لكل هذه الاحتمالات موقعاً ولو صغيراً في نفسه، ولا مكاناً بسيطاً في ذهنه، بل إنه قام بالمهمة والتضحية على أحسن ما يكون.. فقد غطى مكان النبي ﷺ تضحية منه لهذا الدين، وفداءً لهذا الرسول الأمين..

بضم وستون طعنة.. في جسم طلحة..

يوم أحد كان يوم التضحيات العظيمة، وهاهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحكي لنا جزءاً منها، قال أبو بكر الصديق: لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن النبي ﷺ، فرأيت بين يديه رجلاً يقاتل عنه ويحميه، قلت: كن طلحة، فذاك أبي وأمي، كن طلحة، فذاك أبي وأمي، [حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون

رجل من قومي أحب إليّ [فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح، وإذا هو يشتد كأنه طير حتى لحقني، فدفعنا إلى النبي ﷺ، فإذا طلحة بين يديه صريعاً، فقال النبي ﷺ: (دونكم أحاكم فقد أوجب)، وقد رُمي النبي ﷺ في وَجْتِهِ حتى غابت حلقتان من حلقِ الْمُعْفَرِ في وجنته، فذهبت لأنزعهما عن النبي ﷺ فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر، إلا تركتني، قال: فأخذ بفيه فجعل ينضضه^(١) كراهية أن يؤذي رسول الله ﷺ، ثم استل السهم بفيه، فنَدَرَت ثنية أبي عبيدة، قال أبو بكر: ثم ذهبت لأخذ الآخر، فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر، إلا تركتني، قال: فأخذه فجعل ينضضه حتى استلَّه، فنَدَرَت ثنية أبي عبيدة الأخرى، ثم قال: فأقبلنا على طلحة نعالجه، وقد أصابته بضع عشرة ضربة. وفي تهذيب اريخ دمشق: فأتيناه في بعض تلك الحفار فإذا به بضع وستون أو أقل أو أكثر، بين طعنة ورمية

(١) أي: يخرج الحلقتين برفق شديد بفيه.

وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه، فأصلحنا من شأنه (١).

وخلال هذه اللحظات الحرجة اجتمع حول النبي ﷺ عصابة من أبطال المسلمين منهم علي بن أبي طالب، وأبو دُجَّانة، ومصعب بن عمير، وسهل بن حنيف، ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري، وأم عمارة نُسَيْبَةُ بنت كعب المازنية، وقتادة ابن النعمان، وعمر بن الخطاب، وحاطب بن أبي بلتعة، وأبو طلحة. كلهم كانوا يدافعون عن رسول الهدى ومنار التقى ﷺ، كل منهم يتمنى لو أن الموت يأخذ روحه، ولا يصاب رسول الله بأبسط مكروه..

المال رخيص.. ما دام في سبيل الله

وفي غزوة العسرة كذلك كان للصحابة مواقف عظيمة بذلوا فيها الأموال نفيسها ورخيصها، فقد جاء عبد الرحمن بن عوف

(١) رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين..

بهايتي أوقية فضة، وجاء أبو بكر بهاله كَلِّه ولم يترك لأهله إلا الله
ورسوله - وكانت أربعة آلاف درهم - وهو أول من جاء
بصدقته. وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس بهال كثير، وجاء
طلحة وسعد بن عباد و محمد بن مسلمة، كلهم جاءوا بهال.
وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقاً من التمر، وتتابع الناس
بصدقاتهم قليلها وكثيرها، حتى كان منهم من أنفق مَدًّا أو مدين
لم يكن يستطيع غيرها. وبعثت النساء ما قدرن عليه من مَسَكٍ
ومعاضد وخلاخل وقُرْط وخواتم.

ولم يمسك أحد يده، ولم ييخل بهاله إلا المنافقون ﴿ الَّذِينَ
يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٩].

ما أُجِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا يَطَابُ بِشَوْكَةٍ..

وهذا الصحابي الجليل زيد بن الدثنة يصدق بمقالة هزت
عروش الشرك والإلحاد، فلما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه

فقال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا نضرب عنقه وأنت الآن في أهلك، فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً من الناس يجب أحداً كما يجب أصحاب محمد محمداً.

مقولة لم يملك أبو سفيان حين سمعها إلا أن يقول ذلك، والحق ما شهدت به الأعداء..

حتى الغلمان..

لقد خالط حبه عليه الصلاة والسلام بشاشة قلوب الغلمان الصغار من الصحابة، وهذه الرواية تبين ذلك:

كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه واقفاً يوم بدر بين غلامين حديثي السن، فتمنى أن يكون بين أقوى وأضرع منهما، وإذا بأحدهما يميل عليه ويقول: يا عم! هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم. وما حاجتك إليه يا بن أخي؟ قلت: أخبرت أنه يسب

رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده! لئن رأيت لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجبت، فغمزني الآخر فقال لي مثلها، وهذا بدون اتفاق، وكل واحد يريد أن يخفي عن صاحبه بالغمز لعبد الرحمن بن عوف، هؤلاء صغار الصحابة، من حبهم للنبي عليه الصلاة والسلام لما سمعوا أن أبا جهل كان يسبه، يريدون الانتقام منه بأية طريقة، وقد جعل الله مقتله على يديهما.

نحري دون نحرك..

لما كان يوم أحد وقد انهزم عنه الناس وقف أبو طلحة بين يدي الرسول ﷺ يحميه بترس له، فأشرف النبي يريد أن ينظر إلى القوم فقال له أبو طلحة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك.

حبٌ عظيمٌ.. وأدبٌ جمٌّ

إن الحب الذي كان يكتنه الصحابة الكرام لنبیهم عليه وعلى آله الصلاة والسلام، حب لا نظیر له، وقل أن يجد الإنسان مثیله عبر صفحات التاريخ كاملة، فهو حب المقتدين للقدوة العظيمة، وحب التلاميذ لذلك المعلم الحريص جداً على طلابه، وإجلال المنقذ والمخلص لمن كانوا على حافة الهلاك.. حب يدفعهم إلى أن يدفعوا الغالي والرخيص، ويجودوا بالنفس والنفيس في سبيل نصرته والدفاع عنه ﷺ..

إنها تلك القلوب الندية التي عُمّرت بحب الله ورسوله ﷺ فكان محمد ﷺ أحب إليهم من أنفسهم ووالديهم وأبنائهم وأمواهم والناس أجمعين، قلوب لم تعرف غيره لها إماماً وقائداً، سارت على خطاه في الدنيا حتى تنال جزاء: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ﴿١١﴾

[النساء: ٦٩].

شرب هو.. حتى ارتويت أنا

وإليك أخي القارئ الكريم هذه المشاعر التي يبثها قلب الصديق رضي الله عنه في كلمات تُقرأ، يقول أبو بكر رضي الله عنه: (كنا في الهجرة وأنا عطش، فجئت بمذقة لبن^(١)، فناولتها للرسول ﷺ وقلت له: اشرب يا رسول الله، يقول أبو بكر: فشرب النبي ﷺ حتى ارتويت^(٢)).

لا تكذب عينيك فالكلمة صحيحة ومقصودة، فهكذا قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأى حب عظيم بعد هذا الحب، وأي خلة هذه التي خالجت قلب الصديق تجاه نبيه وحبيبه عليه وعلى آله الصلاة والسلام!؟

وهم رضوان الله عليهم يقدونهم بأرواحهم في ساحة الوغى، ويحافظون على متابعتهم في الطاعات والعبادات، فعن سعيد بن

(١) أي: إناء فيه لبن.

(٢) رواه البخاري

جبير قال: (كان مقام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانوا أمام رسول الله ﷺ في القتال وخلفه في الصلاة في الصف وليس لأحد من المهاجرين والأنصار يقوم مقام أحد منهم غاب أم شهد)^(١).

بيكي.. من أثر الحصار

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبكي حباً للنبي ﷺ، وذلك حين رأى رضي الله عنه أثر الحصار في جنب النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: (ما يبكيك؟)، فقال: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر- فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال له: (أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟)^(٢).

ويا ترى هل غير عمر أو بدّل بعد وفاة النبي ﷺ؟ ستعرف

(١) تاريخ دمشق (٢١ / ٨٣).

(٢) رواه البخاري

الإجابة بعد أن تقرأ هذه الحادثة التي يرويها أحد كبار التابعين..
 قال الحسن البصري: أتيت مجلساً في جامع البصرة، فإذا أنا
 بنفر من أصحاب النبي ﷺ يتذكرون زهد أبي بكر وعمر
 وحُسن سيرتهما، وما فتح الله عليهما من الخير، قال الحسن:
 فدنوت من القوم، فإذا فيهم الأحنف بن قيس، فسمعتة يقول:
 أخرجنا عمر بن الخطاب في سرية إلى العراق، ففتح الله علينا
 العراق وبلاد فارس، فاكتنسنا من أقمشتها الجميلة وثيابها
 الناعمة المترفة، ثم قدمنا المدينة المنورة، فلما دخلنا على عمر بن
 الخطاب أعرض عنا بوجهه، وجعل لا يكلمنا، فاشتد ذلك على
 أصحاب النبي الكريم منا، قال الأحنف: فأتينا عبد الله بن عمر،
 وهو جالس في المجلس، فشكونا ما نزل بنا من الجفاء
 والإعراض من أمير المؤمنين عمر، فقال ابنه عبد الله أن أمير
 المؤمنين رأى عليكم لباساً ناعماً مترفاً، لم ير رسول الله ﷺ
 يلبسه، ولا الخليفة من بعده أبو بكر، فهذا سبب إعراضه عنكم،
 وجفوته لكم.

قال الأحنف: فأتينا منازلنا، فنزعنا ما كان علينا من ثياب،

وأتىنا عمر في البزة وفي الثياب الخشنة التي كان يعهدنا فيها، فلما دخلنا عليه ورآنا، قام لنا فرحاً مستبشراً. وسلم علينا رجلاً رجلاً رجلاً، وعانقنا رجلاً رجلاً، حتى كأنه لم يرنا قبل ذلك، فقدمنا إليه الغنائم، فقسمها بيننا بالسوية، وكان من بينها أنواع الحلويات الفاخرة فذاقها عمر، فوجدها لذيذة الطعم، طيبة الرائحة، فأعرض عنها، ثم أقبل علينا بوجهه وقال: يا معشر المهاجرين والأنصار: والله ليقتلن الابن أباه، والأخ أخاه، على زهرة هذه الحياة الدنيا، ثم أمر عمر، بتلك المجامع من الحلويات، أن توزع على أبناء الشهداء والأيتام.

فأي محبة تلك التي يحتويها قلب عمر للنبي ﷺ، وأي وفاء كان يتمثله عمر حتى بعد وفاة النبي ﷺ.

ثاني اثنين..

لما كانت ليلة الغار قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله دعني أدخل قبلك فإن كان حية أو شيء كان لي قبلك، قال صلى الله عليه وسلم:

(ادخل) فدخل أبو بكر فجعل يتلمس بيديه كلما رأى جُحراً أخذ بثوبه فشقه ثم ألقمه الجُحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. فبقي جحر فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله ﷺ.

وفي داخل الغار، وضع النبي ﷺ خده الشريف على فخذ أبي بكر لينام، وغفا ﷺ غفوة وهو على هذه الحال، ولكن حية لسعت رجل أبي بكر^(١)، فلم تصدر من أبي بكر أي حركة - خشية أن يوقظ حبيبه ﷺ - إلا أنها تحدرت دمعة من عين أبي بكر الصديق، لتقع على النبي ﷺ فقال: (ما هذا يا أبا بكر؟)، فقال أبو بكر: كرهت أن أفسد عليك، فأمر رسول الله صلى الله

(١) وقال أنس بن مالك: كان في الغار خروق فيها حيات و أفاعي فخشى- أبو بكر أن يخرج منها شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقمه قدمه فجعلن يضر بهن ويلسعن الحيات والأفاعي، وجعلت دموعه تتحادر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: يا أبا بكر! لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته وهي الطمأنينة لأبي بكر.

عليه وسلم يده على أبي بكر فاضمحل ما كان بجسده من الألم
وكانه أنشط من عقال.

في بيت أبي أيوب..

ولما أقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب الأنصاري، كان
يصنع له العشاء ويتنظر حتى يفرغ منه رسول الله ﷺ فيأكل منه
هو وزوجته، متيمين موضع يده ابتغاء بركته ﷺ.

حياً.. لم يملأ عينيه من رسول الله

وهذا عمرو بن العاص يقول: وما كان أحد أحب إليّ من
رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ
عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطق؛ لأنني لم أكن
أملأ عيني منه.

لماذا ينحل جسم ثوبان؟

كان ثوبان مولى رسول الله ﷺ شديد الحب له، قليل الصبر
عنه، أتاه يوماً وقد تغير لونه، والحزن باد على وجهه، فقال له

رسول الله ﷺ: «ما غير لونك؟» فقال: يا رسول الله ما بي مرض أو وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك.

سواد بريد القصاص..

جاء: أن رسول الله ﷺ عدل الصفوف يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستتل من الصف فطعنه رسول الله ﷺ بالقدح في بطنه وقال: (استو يا سواد) فقال: يا رسول الله أو جعلتني وقد بعثك الله بالحق فأقديني. فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: (استقد). فاعتنقه وقبل بطنه وقال: (ما حملك على هذا يا سواد؟) فقال: يا رسول الله حضر ما ترى ولم آمن القتل فإني أحب أن أكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير. (١)

(١) أخرجه الثلاثة وقال أبو عمر: وقد رويت هذه القصة لسواد بن عمرو لا لسواد بن غزية

سباق على شعرة..

عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ والحلاق يحلقه وقد أطاف به أصحابه، ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل. والفائز من حصل على شعرة نبتت في ذلكم الجسم الطاهر الزكي المبارك النقي؛ جسم الرسول ﷺ.

بكيته وأبكيته يا بلال..

بعد أن ذهب الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، أبى بلال أن يؤذن لأحد بعده، وقد توسل المسلمون إليه مرة أن يؤذن لهم، فلم يكن ينطق أشهد أن محمداً رسول الله حتى يختفي صوته تحت وقع أساه، وتغلبه دموعه وعبراته، وقد بكى الصحابة يومها كما لم يبكوا من قبل.

والله إن هذه المواقف وغيرها الكثير تستحق أن تُكتب بأحرف من نور، وأن تنقش بماء الذهب الصافي، وفاءً لذلك الجيل الراقي في تعامله مع النبي ﷺ..

الرسول الصادق.. يمدح صاحبه الصديق

قد جاءت الروايات الصحيحة التي يختص فيها الرسول ﷺ بعض أصحابه بالثناء والمديح، ومن أولئك الأبرار كان الصحابي الجليل أبو بكر الصديق والذي لم ينقص الرسول من حقه أبداً.

فانظر يا رعاك الله إلى الحب الخالص الذي يدفع النبي ﷺ إلى أن يمدح أصحابه وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعلى ملامن الناس ومرأى ومسمع، وانظر إلى هذه الرواية الصحيحة التي تبين ذلك:

عن ابن عباس قال خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصب رأسه بخرقه فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إنه ليس من الناس أحد آمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً

لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر^(١).

يقول النبي ﷺ هذا الكلام وهو يعاني آلام المرض، وكأنه يريد أن يقرر في نفوس الصحابة حب أبي بكر بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (ما نفعنا مال ما نفعنا مال أبي بكر) قال: فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك؟!^(٢)

وهذا من عرفانه ﷺ بالجميل.. وكانت ردة فعل أبي بكر من أجمل ما يكون، حين قابل كرم الرسول وهو: ذكره لفضل أبي بكر، قابله بكرم الدموع واللسان.

(١) فتح الباري (١٤١٧) وفي النسخة: عاصب، وفي بقية المصادر: عاصباً رأسه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣٦٦، ٢٥٣)، من حديث أبي هريرة.

بل ويدافع النبي الكريم -بأبي هو وأمي عليه وعلى آله الصلاة والسلام- عن صاحبه أبي بكر، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: (أما صاحبكم فقد غامر)، فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر، فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ، فسلم فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين، فقال النبي ﷺ: ((إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ مرتين)) فما أوذى بعدها. ^(١)

(١) رواه البخاري، رقم الحديث (٣٤٦١)

لا تسبوا أصحابي!!

(لا تسبوا أصحابي) صرخة مدوية قالها النبي ﷺ في وجه كل من تسول له نفسه سب صحابته الكرام عليهم رضوان الله..
 (لا تسبوا أصحابي) قاعدة نبوية تعلمنا كيف يكون توقيير أصحاب الرسول ﷺ الكرام..

(لا تسبوا أصحابي) نهي صريح عن مساس جناب أحد من الصحابة بكلمة جارحة، أو عبارة بذيئة، أو جملة سيئة، نهي لا مجال فيه للتأويل أو التحريف فهو واضح جلي كوضوح الشمس في رابعة النهار..

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه باب فضائل أصحاب النبي ص (١٩٥/٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدكم ولا نصيفه»^(١).

وقد جاء نص الحديث هذا من عدة روايات، مما يؤكد صحته.

كيف لا ينهى النبي ﷺ عن سب صحابته الكرام وقد رأى منهم ما رأى، من تضحية وفداء، وبذل وعطاء، وجود وكرم، واستبسال وشجاعة، وإقدام دون خوف، وتقديم دون تردد، وفصاحة في القول الحسن دون تكوُّر، وسخاء دون بخل، وعطاء دون سُخ، وإجلال له ﷺ دون استنقاص، وإكبار لشأنه دون تحقير..

إذا تكلم ﷺ أنصتوا، وإذا قال وعوا، وإذا أمر امثلوا، وإذا طلب تسارعوا وتسابقوا إلى تلبية طلبه، وإذا فرح لم تسعهم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم سب الصحابة (٢/١٩٦٧).

الدنيا من فرحته، وإذا حزن وغضب لم تسعهم أنفسهم حزناً من
حزنه، وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على وضوءه ﷺ ..

إنه لم يجد ﷺ من أولئك الأفاذا ما يدعو له لأن ينقصهم
حقهم، أو ما يدعو له لأن يجد في نفسه ولو مثقال ذرة من بغض
لهم عليهم رضوان الله..

حب القرابة لكل الصحابة..

أخي الكريم: إن الصورة الحقيقية ناصعة البياض تبقى وما سواها يزول، هذه الصورة تتجلى في كتاب نهج البلاغة، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يصور لنا بنفسه صحابة رسول الله ﷺ كما رأهم وعانينهم إذ يقول: (لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعناً غرباً وقد باتوا سجداً وقياماً يراو حون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يمد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب^(١)).

(١) نهج البلاغة (ص: ١٨٢، ١٨٩).

وهو جِيْلُنُهُ يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أي محب فارق من يحبه، فيقول: (أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض أطرافها زحفا زحفا وصفا صفا، مُرَّه العيون من البكاء، مُخَّصَّ البطون من الصيام، ذُبُلَّ الشفاه من الدعاء، صُفِرَّ الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون فحق لنا أن نظماً إليهم ونعض الأيدي على فراقهم).^(١)

فيا أحباب أمير المؤمنين علي جِيْلُنُهُ، تأملوا في نظرتي إلى أصحاب رسول الله ﷺ، وهالاً استمعنا إلى داعي العقل والقول الرشيد.

وأما الإمام علي بن الحسين زين العابدين جِيْلُنُهُ فكان يذكر أصحاب رسول الله ﷺ ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة؛

(١) نهج البلاغة (ص: ٢٣٥).

لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه، فيقول: (فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ أعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في قرابته. اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك، وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم، وخروجهم من سعة العيش إلى ضيقه، ومن كثرة في اعتزاز دينك إلى أقله، واللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون: ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، خير جزائك، والذين قصدوا سمتهم وتحروا جهتهم، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم يشنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام

بهداية منارهم، مكانفين وموازين لهم، يدينون بدينهم ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم^(١).

وقد روى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى محمد بن علي بن الحسين بن علي أنه قال لجابر الجعفي: (يا جابر بلغني أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يجنوننا ويتناولون أبا بكر وعمر ويزعمون أني أمرهم بذلك، فأبلغهم عني أي إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتي شفاعة محمد ﷺ إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما).

وقد ذكر الإمام الشوكاني رحمته إجماع أهل البيت عليهم السلام على تحريم سب الصحابة رضوان الله عليهم من اثني عشر طريقاً^(٢).

(١) صحيفة كاملة لزين العابدين (ص: ١٣)، نقلاً عن كتاب: ثم أبصرت الحقيقة.

(٢) إرشاد الغيبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي (ص: ٥٠-٦٤).

وحب أهل بيت رسول الله للصحابة ظاهر واضح تعجب به
كتب السير والتاريخ الصحيحة، ولعل ما سبق ذكره فيه كفاية
لأولي الألباب والنهي.

وفي الأخير.. رسالة..

أيها القارئ الكريم: تذكر أن هؤلاء جيلٌ فريد، فقد حصلت لهم مزايا لا يمكن أن تحصل لغيرهم، فقد فازوا بشرف الصُّحبة، صحبة رسول الله ﷺ، فهو الذي ربّاهم وعلمهم وأدّبهم، وبهم جاهد الكفار، وهم الذين نصرّوه.

إنك تعجب من كثير من الكتاب والباحثين الذين يقضون أوقاتًا ويذلون جهودًا كبيرة في مسائل تاريخية أو فكرية هي مبنية على روايات ضعيفة واهية أو أهواءٍ ونحو ذلك، بل منهم من يعتقد أنه يُحسن صنعًا وأنه وصل إلى حقائق علمية!!! وما وصلوا إليه فيه تفريق للأمة، وإذا سألتهم عن ثمار عملهم وجهدهم لا تجد جوابًا!! وأحسنهم حالًا من يقول لك: لأجل العلم وكفى!!! وأين هنا الأساس العلمي الذي اعتمد عليه؟؟^(١)

(١) كتاب (رحماء بينهم) للقاضي الدرويش.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة].

فهؤلاء هم الذين قام رسول الرحمة والهدى بتربيتهم (تزكيتهم) وتعليمهم.

نداء: إلى الباحثين والكتّبة عن تاريخ الأمة، بل إلى الداعين إلى وحدة الكلمة وتوحيد الصف، إلى الذين يتحدثون عن خطورة العولمة وآثارها ووجوب توحيد الصف لمواجهة آثارها^(١).

بل إلى كل غيور على هذه الأمة، أقول: لماذا نشير قضايا ومسائل تاريخية لها آثارها السلبية وتؤصل العداوة من غير بحث ونظر؟؟ لأجل جماهير العوام، أو لأجل تقليد أعمى أو كسب مادي؟؟!!

(١) كتاب (رحماء بينهم) للقاضي الدرويش.

ألم تأتِ الآيات الكريهات ببيان فضلهم، وعلو منزلتهم؟ ألم تروى الأحاديث الصحيحة التي تنهى عن سبهم، وتؤصل حبهم في القلوب؟

ألم يسطر الصحابة أروع أنواع البذل للدين في صفحات التاريخ، أم أن ما قاموا به كان مجرد نفاق وكذب؟

كيف يمدح القرآن والسنة من ارتدوا عن المنهج الحق، أم أن الله لا يعلم ما سيكون؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

كيف لنا أن ندعي حب أهل بيت النبوة ونحن لسنا على منهجهم سائرين في حب الصحابة والترضي عنهم؟

أخي: إذا كان النهي قد جاء عن سب المسلم العادي، فما بالك بمن هم أحب الناس إلى قلب الحبيب المصطفى ﷺ.

أرجوك.. اسأل نفسك: ماذا سيقول لي رسول الله ﷺ لو التقيت به وعلم أني أسب من مدحهم وأثنى عليهم؟

فهرس المحتويات

٣	مقدمة
٦	فضل الصحابة
٨	فضل الصحابة في كتاب الله
١٧	الصحابة على لسان رسول الله ﷺ
٤٢	الرسول الصادق.. يمدح صاحبه الصديق
٣٣	حبٌ عظيمٌ.. وأدبٌ جمٌّ
٤٥	لا تسبوا أصحابي
٤٨	حب القرابة لكل الصحابة
٥٣	وفي الأخير.. رسالة
٥٦	فهرس المحتويات

